الطبيعة البشرية في الفكر الفلسفي المعاصر

" جون ديوي أنموذجا "

إعداد

م. نبراس زكي جليل

كلية الآداب / قسم الفلسفة

2020

المقدمة :

ليس من اليسير دراسة موضوع الطبيعة البشرية Human natural لأنها كانت مثاراً للجدل والاختلاف بين المفكرين والفلاسفة حول المحور الرئيس فيها وهو "جوهر الإنسان" ، وما يمتلكه هذا الكائن من خصائص وصفات يمكن أن تميزه وتجعل منه كائناً مختلفاً عن بقية الكائنات الأخرى، فالإنسان موجود طبيعي لكن من العسير الإحاطة به وتحديده، كما انه الموجود المتناقض الذي اختلف في وصفه الفلاسفة، فمنهم من قال عنه انه حيوان ناطق، ومنهم من نعته بالميتافيزيقي أو الحيوان المدني، وبعضهم رفعه إلى مصاف الإلهة، وبعضهم الآخر أعطاه صورة قاتمة حين وصفوه بقولهم " الإنسان ذئب لأخيه الإنسان[1]، وهكذا نجد ان آراء الفلاسفة قد تباينت واختلفت في فهم الطبيعة البشرية، ولم يقتصر ذلك الاختلاف في ميدان الفلسفة فحسب بل شمل ميدان العلوم الإنسانية الأخرى وحتى بعض العلوم التطبيقية[2]، وقد عرفه الفريد ادلر بأنه " فن من الفنون الرفيعة الذي يمكن من خلاله استخدام العديد من الأدوات المختلفة، كما انه فن مرتبط بالفنون الأخرى جميعاً، وهذا له مغزاه الخاص في الشعر والأدب تحديداً، لان الهدف الرئيس لهذه الفنون هو توسيع مداركنا وزيادة معلوماتنا عن أفراد المجتمع البشري، وهذا ما يمكننا من تحسين أنفسنا "[3] .

تحاول هذه الدراسة أن تسلط الضوء على مشكلة الطبيعة البشرية في الفلسفة المعاصرة وتحديداً عند الفيلسوف البراجماتي جون ديوي، الذي يُعد احد ابرز الفلاسفة المعاصرين الذين ظهروا في الولايات المتحدة الأمريكية ومثلوا ثقافة هذه الحضارة، إذ شكّلت هذه الدراسة ثلاثة محاور: أولها دراسة موضوع الطبيعة البشرية عند الفلاسفة لنبين مدى اختلافهم في تناوله، ونطرح أهم الآراء التي كان لها صدى واسع وأهمية كبيرة في أزمنة متفاوتة من تاريخ الفلسفة، فارتأينا أن يقع الاختيار على أبرز الشخصيات الفلسفية في تاريخ الفلسفة اليونانية والعصور الوسطى والحديثة . أما المحور الثاني فقد خصصناه لدراسة موضوع الطبيعة البشرية في الفلسفة المعاصرة عند جون ديوي، إذ عرضنا موقفه من حيث تغير وثبات الطبيعة البشرية، وجاءت أهمية هذا الموضوع كونه اتخذ موقفاً وسطاً بين الثبات والتغير، وعرضه لخصائص جوهرية ثابتة يتصف بها كل إنسان ، وأخرى متغيرة من إنسان إلى آخر يكتسبها من بيئته . وفي المحور الثالث والأخير فقد انصبت الدراسة على بعض الموضوعات الفلسفية المهمة في فلسفة ديوي من

خلال ارتباطها بالطبيعة البشرية، حيث سلطنا الضوء على المشكلة الأخلاقية بوصفها أكثر الصفات ارتباطاً بالطبيعة الإنسانية من حيث سلوكه وما ينتج عنه. وكذلك موضوع فلسفة الفن وما يخص الخبرة الجمالية وعلاقته بالطبيعة الإنسانية وارتباطها بكافة مجالات الحياة، بالإضافة إلى موضوع التربية وكيفية التعلم من خلال العقل والجسم معاً اللذان يشكلان طبيعة الإنسان، وأخيرا تناولنا السياسة وارتباط الديمقراطية والحرية بالطبيعة البشرية .

أولاً : الطبيعة البشرية عند الفلاسفة

1- عند فلاسفة اليونان :

انتقل الاهتمام بالبحث الفلسفي في زمن سقراط وأفلاطون وأرسطو من الطبيعة إلى الإنسان، وارتبط ذلك تحديداً بفلسفة سقراط الذي أكد على الجانب الأخلاقي، لاسيما انه اتخذ من المقولة الشهيرة (اعرف نفسك) شعاراً له، وهذا معنى قول شيشرون[4]:" إن سقراط أنزل الفلسفة من السماء إلى الأرض"، أي حوّل النظر من الفلك والعناصر التي تتكون منها الأشياء إلى الإنسان، بذلك اختلف عن الفلاسفة الطبيعيين الذين بحثوا عن طبيعة الأشياء المادية وقوانينها، بينما انصب اهتمامه على طبيعة الإنسان، وكل ما يرتبط به من روح ونفس وعقل، واعتقد بأن الطبيعة البشرية ثابتة ومطابقة للقانون والنظام الإلهي، وقد رسمتها الآلهة من قلوب البشر الذين يحترمون القوانين العادلة ويخضعون لها وللعقل والنظام الإلهي، كما أكد بأن الفضيلة علم والرذيلة جهل[5]، فالحياة الأنسب للطبيعة البشرية هي خضوعها للعلم والمعرفة، وهذا نابع من الأيمان بالعقل الذي يمثل جوهر الإنسان .

وقد بحث أفلاطون عن ماهية النفس من حيث إنها تمثل الحقيقة الثابتة للطبيعة البشرية، فقام بالكشف عن طبيعتها وأقسامها، فأثبت إن النفس الإنسانية إلهية خالدة لا تنتمي لعالمنا الحسي بل إلى عالم المثل، ولكن بعد انفصالها واتحادها بالجسد فقدت كل معارفها التي حملتها من العالم العلوي، إلا إنها تستطيع أن تستذكر من خلال تحكيم العقل في التجارب التي تمر بها في هذا العالم[6]. وقد قسم النفس التي ترتبط بالجسد إلى ثلاثة أقسام، كل قسم له وظيفته المخصصة، وهذه الأقسام هي : النفس الناطقة، النفس الغضبية، النفس الشهوانية[7]، فيرى أن السلوك الإنساني يجري من خلال هذه الأنفس، الأولى تمثل المعرفة والذكاء والفكر والعقل،

ووظيفتها التحكم والسيطرة على الجسم، بينما تمثل الثانية العاطفة والشجاعة والطموح والروح، ووظيفتها الأساسية هي التجربة، والأخيرة تمثل الرغبة والشهوة والباعث، ووظيفتها الأكل والشرب والتلذذ[8]، وصورة النفس الإنسانية هذه سوف تنعكس لترسم صورة الدولة، لأنها طبق الأصل لهذه الأنفس، وتستمد شكلها من مواطنيها – من الطبائع البشرية – في داخلها، فالدولة في نظره تتكون من ثلاث طبقات : الحكام، الجند، الشعب، وهذا يقابل أقسام النفس المذكورة[9]، فالطبيعة البشرية وفقاً لأفلاطون تكون مركبة من هذه الأنفس التي تضم في كنفها قوى مختلفة ومتصارعة متمثلة بمطالب الجسم، تعمل في النهاية على كبحه والتحكم والسيطرة عليه .

خالف أرسطو أستاذه أفلاطون في موضوع طبيعة النفس التي تمثل جوهراً مفارقاً ومتعالٍ عن البدن، وبإمكانها أن تحل في الجسم، بينما عرّفها أرسطو بأنها " كمالٌ أول لجسمٍ طبيعي ذي حياةٍ بالقوةِ ، نعني جسم آلي"[10]، أي أن هنالك فرقاً بين المعنيين "جسم آلي" و "ذي حياة بالقوة"، فمعنى كلمة آلي هنا مستكمل لكل أدواته ووظائفه، وبناءً على ذلك ينظر للمسألة من ناحيتين : الأولى التشريحية، والثانية من ناحية وظائف الأعضاء، إلا أن هذه الوظائف ليست بالفعل إنما بالقوة، بمعنى التهيؤ لاستخدام هذه الوظائف دون أن تكون مستخدمة بالفعل، ومعنى " كمال أول " هو الفعل القريب، لا في مرتبة عليا بل في المرتبة الدنيا، والكمال عندما يكون أول تكون مراتبه أدنى من مراتب الفعل[11]، كما رفض أرسطو فكرة انفصال النفس عن الجسم، فكان حله لهذه المشكلة من خلال فكرته السائدة عن الهيولى matter والصورة " القوة والفعل " من حيث انه لا يمكن فصل الصورة عن الهيولى[12]، وقد رفض فكرة إن هنالك أنفس متنوعة : نفس عاقلة، نفس غضبية، نفس شهوانية، وإنما اعتقد بوجود وظائف مختلفة تنسجم عن طريق التصاعد فيما بينها، بدءاً من النفس النباتية ثم النفس الحيوانية صعوداً إلى النفس الإنسانية الناطقة[13] التي يمتاز بها الإنسان عن باقي الموجودات لأنه يمتلك العقل والنطق. وهكذا نلاحظ اتفاق أرسطو مع أفلاطون بثنائية النفس والجسم رغم اختلافه على موضوع طبيعة النفس وتقسيماتها .

وفي نظر أرسطو فان الإنسان لا يمكن أن يعيش إلا في مجتمع، ولا تستمر حياته إلا من خلاله، لان الضرورة والمصلحة تستدعي ذلك، إذ قال " إن الإنسان حيوان سياسي بطبعه "،فهو اجتماعي ومدني بالطبع، بمعنى أن طبيعته ألزمته أن يعيش مع الناس الآخرين، وتتحقق

إمكانيات الطبيعة البشرية من خلال التفاعل الاجتماعي التي تنشأ من ثلاث مجموعات هي : الأسرة والقرية والدولة، وعند تحقيق الفرد لحاجاته وإمكانياته تصاعدياً من خلال هذه المجموعة تنكشف الطبيعة البشرية إذ يصبح الإنسان متمدناً[14]، كما يرى أن الناس بحكم طبيعتهم يكونون منذ الولادة بعضهم حاكماً والاخر محكوماً (سادة وعبيد)، ووجوب خضوع العبد للسيد كخضوع الجسم للعقل[15] . هكذا تتجلى الطبيعة البشرية عند أرسطو من خلال معرفة جوهر الإنسان ككيان منفرد يتكون من جسم ونفس لها وظائف محددة، وكعضو يعيش في مجتمع لا يمكن أن ينفك عنه بحكم طبيعته .

2- عند الفلاسفة المسيحيين :

يُعد القديس أوغسطين من أكثر فلاسفة العصور الوسطى المسيحية خوضاً في مشكلة الطبيعة البشرية، اذ اهتم بالجانب الأخلاقي الذي يرتكز على سلوك الإنسان، ومن ثَم السعي إلى الهدف الأسمى وهو تحقيق السعادة، وهذا لا يتحقق إلا بالارتباط مع الله. ففي مستهل كتابه الاعترافات confessions يقول: أنت عظيم يا مولاي لك الحمد وكل الحمد، عظيمة هي قوتك لا حصر لحكمتك، فالإنسان يريد مدحك، ذلك الجزء الضعيف من خلقك الذي يحمل زواله ودليل خطيئته معه وهو يعلم بتصديه للمتكبرين، رغم ذلك يريد أن يمدحك وهو الضعيف من خليقتك، أنت من تشوقنا على شكرك وحمدك لأنك خلقتنا لكَ، وقلوبنا تعرف الطمأنينة عندما تطمئن وتسلم لك[16].

إن تصوير أوغسطين لطبيعة الإنسان بوصفه يعكس مزيجاً من الأهواء والطموحات والنزوات والرغبات التي تسعى إلى تحقيق ذاتها من خلال الاتحاد مع الله ومشاهدة بهائه، وهذه القوى الإنسانية هي التي تحمله إلى الاتجاه الملائم لطبيعته حيث يكون أساسها الحب[17]، ولكنها معقدة التركيب وغير مرتبة ومتضاربة أحيانا وتتعارض بعضها مع البعض الآخر مما ينجم عن ذلك ازدواجية في الطبيعة البشرية ما بين طبيعة عليا وأخرى سفلى، وعلى هذا الأساس يميز بين نوعين من الطبيعة : الأول يرتبط بالأخلاقيات ويقوم بتوجيه الإنسان إلى الأعلى، والنوع الثاني يرتبط بالأهواء ويعمل على توجيه الإنسان نحو الأسفل، ونتيجة لذلك يتكون الصراع الداخلي للإنسان، فعليه أن يمتلك إرادة قوية وحرية في الاختيار من اجل أن يسلك الطريق الصحيح، وهذا لا يتم إلا عن طريق عقل الإنسان نفسه، وبناءً على هذا الاختيار توصف

أخلاقياته بالمدح أو الذم[18]، فاستعداد الخير والشر موجودان في الطبيعة البشرية، والفيصل هي حرية الإرادة التي تُعد جزءاً من طبيعة الإنسان الأصيلة .

كما اهتم توما الاكويني بدراسة الإنسان وطبيعته، وانصبت دراسته في الإنسان كفرد له مميزاته و صفاته الخاصة، وكذلك من ناحية علاقته مع الله واشتراكه ببعض الصفات معه، بالإضافة إلى كونه مخلوقاً اجتماعياً يعيش مع آخرين ويمارس نشاطه الطبيعي في المجتمع . ففي البدء يُعرّف الإنسان كفرد على انه الوجود المنفصل عن باقي الموجودات الأخرى، وليس بالإمكان أن ينقسم إلى موجودات أخرى، فهو يختلف اختلافاً كلياً عن النوع رغم أن النوع متميز صورياً عن جميع الأنواع الأخرى، فيمكن أن ينقسم إلى أفراد كثيرة متميزة بدون أن يفقد طبيعته، فالإنسانية موجودة في كل إنسان والنوع الإنساني موجود بسبب وجود البشر، وقد سمي الإنسان فرداً لأنه متميز عن الآخرين من الناس ولا يمكن تقسمه[19].وفي رأي الاكويني إن الله قد خلق الإنسان بتصوره الخاص (في عقل الله)، لذلك فان جزءاً من طبيعة الإنسان قد ارتبطت بطبيعة الله، ويتمثل ذلك الجزء بالجانب اللامادي كالعقل والروح، ولهذا يشترك مع الله في بعض الصفات أبرزها الحب والإرادة، وقد ربط هذه الصفات بالفكر فقال :" إن من يمتلك الفكر يمتلك الإرادة، ومن يمتلك الإرادة فلديه الحب"، وتأكيده على أسبقية الفكر على الإرادة نابع من مقولة أن (الإنسان حيوان عاقل) التي تمثل أساس الطبيعة البشرية[20]. وفي ضوء ذلك فان الإنسان حيوان اجتماعي لا يحقق طبيعته إلا من خلال العيش في مجتمع، وان السياسة نشاط طبيعي يمكّن من تحقيق الخصائص الإنسانية الذي يتم من خلال رجل الدولة إذ تكون مهمته تحقيق الفضيلة والسعادة، ومن ثم تأتي مهمة الكاهن (رجل الدين المسيحي) ليحقق الهدف النهائي وهو الخلاص، وبذلك تندمج مهمة رجل الدولة بشكل طبيعي بمهمة الكاهن[21]، وفي النهاية تبقى فكرة الخطيئة و الخلاص من الأفكار الرئيسة التي ارتبطت بموضوع الطبيعة البشرية عند فلاسفة العصور الوسطى المسيحية، وفكرة إن جميع البشر متساوون لأنهم مخلوقون من الله .

3- عند الفلاسفة المُحدثين :

كان الفيلسوف الانكليزي توماس هوبز من ابرز الفلاسفة الحديثين الذين بحثوا في موضوع الطبيعة البشرية، إذ تناول الإنسان في أقسام كثيرة من فلسفته، ففي القسم الأول والذي تضمن الجسم والميتافيزيقا، تناول فيه موضوع الجسم وكيفيته والحركة وطبيعتها، أما في القسم الثاني

فخصصه للإنسان من ناحية سيكولوجية إذ تناول فيه نظرية المعرفة وفلسفة اللغة، وتضمن القسم الاخير الفلسفة المدنية من ناحية السياسة والدين، وفي موضوع الأخلاق عرض نظريته في تفسير الطبيعة البشرية[22] .

ففي كتابه الضخم المسمى باللفياثان[23] leviathan صور هوبز الإنسان وفقاً لفلسفته المادية، التي ترى أن العالم عبارة عن جسم يتكون من أجزاء تحكمه قوانين الحركة التي يمكن ملاحظتها ورصدها وتحديدها بالحواس، والإنسان حسب هوبز هو آلة مركبة تحكمها تأثيرات خارجية لأنه جزء من هذا العالم، ويقول في وصفه للإنسان ومقارنته بالطبيعة " إذ يقلد الإنسان الطبيعة بفنّه كما يقلد أشياء كثيرة في هذا العالم، إلى درجة صنع كائن حيوان اصطناعي، والحياة كما نراها هي حركة للأطراف تكمن بداياتها بقسم رئيس ما في داخلها، فلماذا لا يمكن القول بأن لكل الآلات حياة اصطناعية ؟ إذ ما هو القلب أن لم يكن زنبركاً، وما هي الأعصاب إذ لم تكن غير أوتار عديدة، والمفاصل سوى عجلات متعددة تعمل على تحريك الجسم بأكمله وفقاً لما أراد لها الصانع، ويذهب الفن ليقلد الإنسان ذلك العمل العقلاني المتفوق للطبيعة، وبواسطة ذلك الفن تُخلق الدولة"[24]، فتكون الطبيعة البشرية متساوية فيها من حيث ما يمتلكه الإنسان من قوى غريزية جسدية كانت أو فكرية، والتفاوت الموجود من حيث التفوق الجسدي لا يمنع في كثير من الأحيان تفوق الأضعف على الأقوى، فيتم ذلك من خلال حيلة أو تحالف مع أطراف أخرى يستمد منها العون والقوة، أما القوى الفكرية – باستثناء الفنون كونها غير غريزية – تكون أكثر مساواة من القوى الجسدية، فالحكمة على سبيل المثال هي خبرة العقل يكسبها الوقت بالتساوي لكل الناس، بغض النظر عن الاعتقاد الشائع بين الناس بأنهم يمتلكون درجات من الحكمة تفوق غيرهم، وهذا ما يثبت أن البشر متساوون أكثر مما يثبت العقل[25] .

ولا يمكن إغفال ما قدمه الفيلسوف الفرنسي جان جاك روسو حول طبيعة الإنسان، فهو يقرر منذ البداية التمييز بين ما هو أصيل وما هو صناعي في الإنسان، فيقول بهذا الشأن :" يوجد نوعان للتفاوت في الجنس البشري، الأول هو التفاوت الطبيعي (الفيزيقي) وهو من وضع الطبيعة، و الثاني هو التفاوت الأدبي أو السياسي الذي يتوقف على التعاهد والتراضي بين الناس"[26]، فالنوع الأول هي الحالة التي كان عليها التركيب الأصلي للإنسان والتي خالف بها هوبز الذي يذهب إلى " أن الإنسان جسوراً بحكم طبيعته وهو لا يحاول غير الهجوم والقتال"[27]،

مما عزز فكرة أن الإنسان شرير بطبعه والمنسوبة لتوماس هوبز، بينما يعدها روسو حالة الطبيعة الإنسانية التي يكون فيها الإنسان خيّراً وطيّباً بالفطرة، وهو يعيش حالة من الوحدة التي تجعل منه انساناً كاملاً سعيداً، لان متطلباته وحاجاته محدودة ولأنه يمتلك الحرية والاستقلال، فكان كل إنسان مساوياً للاخر[28]، والنوع الثاني الذي يمثل النظر إلى الإنسان من ناحية اللا طبيعة أو من الناحية الأدبية كما عبر عنها روسو[29]، والسبب في إجبار ودفع الإنسان إلى الانتقال من الوضع الطبيعي إلى الوضع السياسي هو البقاء والدوام، ولو لم يقوم الإنسان بتغيير طريقة حياته لكان قد تعرض للهلاك والفناء، وهذا لا يتم إلا عن طريق الميثاق الاجتماعي الذي يتفق عليه الأفراد،"لما كان البشر لا يستطيعون خلق قوى جديدة وإنما توحيد وتوجيه قواهم الموجودة فحسب، فأنه لم يبقَ لديهم من وسيلة أخرى للبقاء إلا تشكيل من القوى بالدمج، يمكنها التغلب على المقاومة وحشرها للعمل بدافع واحد وجعلها تتصرف بتناسق"[30]، فالتغير من الحال الطبيعي الى وضع العقد الاجتماعي كان مفروضاً لأجل بقائه واستمراره ومواجهة كل ما يعترض مسيرة حياته .

ثانياً : الطبيعة البشرية عند الفيلسوف المعاصر جون ديوي

1- الطبيعة البشرية الثابتة :

بيّن جون ديوي في كتابه الطبيعة البشرية والسلوك الإنساني[31] Human nature and conduct أن هنالك مجموعة كبيرة من الفلاسفة والمفكرين والمصلحين السياسيين كانوا يرفضون تغيّر الطبيعة البشرية، ويؤكدون إن هذه الطبيعة ثابتة لا تتحول أو تتغير من حالة إلى أخرى، وفي كثير من الأحيان قد ارتبط ذلك بمعتقداتهم وميولهم السياسية والاجتماعية التي اعتنقوها، إذ ربط هذا الموقف بين طبيعة الإنسان وما يمتلكه من غرائز فطرية Innate instincts وبين البيئة الاجتماعية وما تمتلكه من تغيير اجتماعي، فالغرائز الفطرية موروثة ومتأصلة في الطبيعة البشرية، بينما التغير الاجتماعي فهو مرتبط بما هو مكتسب عن طريق الخبرة[32]، فمبدأ الغرائز الذي يدعم فكرة الطبيعة البشرية الثابتة يؤكد على إن "الظروف قد تتغير ولكن الطبيعة البشرية تبقى ثابتة على مر العصور، فالوراثة أكثر قدرة من البيئة، والوراثة الإنسانية لا يغير منها الجهد الإنساني، والجهد الذي يُبذل لإحداث تغيير خطير في المؤسسات

الإنسانية هو عمل من أعمال (اليوتوبيا) . فكما كانت الأشياء ستكون، وكلما كثر التغيير فيها، استمرت على حالتها"[33] .

ومن ضمن من تبنى هذا الموقف أيضا في نظر ديوي هم أصحاب الرأي المحافظ الذين اعتمدوا سيكولوجية الغرائز[34] The psychology of instincts ، وذلك من أجل إرساء نظريتهم على العلم، وقد تأثروا بعلم النفس الذي استمد فكرته عن الغرائز من عملها عند الحيوانات، وحسب الاعتقاد الشائع بأن عمل الغرائز عند الحيوانات أكثر تأصلاً وثباتاً وتحققاً، بينما العكس هو الصحيح لأن غرائز الحيوانات هي أكثر قابلية للخطأ وأقل تحديداً مما يفترض أن تكون، والطبيعة البشرية تختلف كل الاختلاف عن طبيعة الحيوانات لان نشاطاته الفطرية ينقصها التنظيم المعقد والمعد من قبل، بينما النشاطات الفطرية للحيوانات تكون منظمة ومعدة[35].

ويذهب ديوي إلى إن العادات Habits تشكل جزءاً كبيراً من الطبيعة الإنسانية الثابتة، أو كما يرى بأنها العامل الجامد أو الصلب لما تملكه من قوة وثبات وصعوبة في التغيير، حيث إن جل الثورات والتطورات التي تحدث في المجتمعات والتي تعمل على تغيير مؤسسات الدولة القانونية والسياسية تواجه نوعين من التغييرات : الأولى تغييرات مادية، والثانية تغييرات مرتبطة بما تنشئه العادات[36]، فمن السهل هدم وتغيير كل ما له علاقة بالجانب المادي والمرتبط بكافة المؤسسات، على عكس ما يرتبط بالعادات من الحالات العقلية والنفسية التي تنشأ في المجتمعات نتيجة لهذه المؤسسات، فهي تحتاج فترات طويلة من الزمن كي تتغير، فليس من السهل تغيير كل ما ينتج عن مؤسسات الدولة السياسية والقانونية والاجتماعية والتربوية ...الخ

لقد ارجع أصول تلك الفكرة إلى تاريخ الفلسفة الإغريقية، فهو يرى ان العبودية في نظرهم لها جذور عميقة ممتدة في الطبيعة الإنسانية الأصلية، فعند أفلاطون تفهم الطبيعة البشرية من خلال انعكاسها في النظام الاجتماعي الطبقي الذي يعكس بدوره طبيعة الفرد وحقيقته، فهذا النظام مكون من طبقات ثلاث متباينة فيما بينها، طبقاً للنظام الاجتماعي المعهود وجد أفلاطون إن في المجتمع طبقات ثلاث هي : طبقة عاملة تكدح من أجل الحصول على الوسائل اللازمة لسد حاجاتها ومتطلباتها، وطبقة الجنود الذين يحرسون الدولة ويخلصون كل الإخلاص للقانون، وطبقة ثالثة من المشرعين الذين يعملون على وضع القوانين، فكذلك النفس البشرية تكون مقسمة

إلى ثلاثة أقسام هي : الشهوة في أسفل النفس، وثانيها دوافع كريمة وحميدة تتجه إلى ما وراء المتع الشخصية ووراء اللذات، وثالثها يمثل العقل القوة التي تشرع للناس وتعمل على وضع القوانين[37]، وهكذا أستطاع أفلاطون في نظر ديوي أن يؤسس لطبيعة بشرية تمتاز بالثبات من جهة وأن يقدم البراهين على وجود قوانين ثابتة تحكم طبقات المجتمع الذي يمتاز باختلاف طبائعهم من جهة أخرى .

كذلك الحال عند أرسطو الذي يرى بأن العبودية مبدأ من مبادئ الطبيعة البشرية، وان الاختلافات موجودة بطبيعة الإنسان الفطرية لا يكتسبها اكتساباً، لذلك يوجد أفراد يمتلكون موهبة القيادة والسيطرة، وفي المقابل هناك أفراد يتصفون بالخضوع والطاعة والانقياد، فتصبح العبودية متأصلة وثابتة في الطبيعة الإنسانية لا يمكن التغاضي عنها، ويعتقد ديوي ان العبودية عند الإغريق أو كل الرقيق المتواجدون على وجه المعمورة في العهد الإقطاعي، مثل الحروب والأنظمة الاقتصادية المهيمنة على الأرض، هي بطبيعتها أنماط اجتماعية نسجت من مادة المناشط الفطرية، أن الطبيعة البشرية الفطرية تمدنا بما يلزم من مواد خام، وتقدم لنا التقاليد، التصاميم، الأدوات، فمثلاً لا يمكن أن تنشب الحروب من غير المناشط الفطرية وهي الغضب والمنافسة والانتقام وحب الظهور ...الخ ، وغير ذلك من الميول الفطرية[38] .

2- الطبيعة البشرية المتغيرة :

يحدد ديوي موقفه من الطبيعة البشرية طبقاً لما يؤمن به من أفكار تجاه الكون والوجود بشكل عام، فالعالم حسب وصفه وما يحتويه من وجود إنساني ومادي هو عالم ليس ثابتاً وإنما في حالة من التغير والتطور المستمرّين، وفي هذا السياق فانه لا يفصل بين طبيعة الكون وطبيعة الإنسان، بل يرى أن جميع مظاهر هذا العالم لا تكون ثابتة ويكون معيار حقيقة الوجود هو التغير لا الثبات[39]، وهذا ما أشار إليه في كتابه إعادة البناء في الفلسفة[40] reconstruction in philosophy إذ يرى أن التغير لا الثبات هو معيار حقيقة الوجود الآن، والتغير موجود في كل مكان والقوانين التي يهتم بها رجال العلم هي قوانين حركة وتوال وتتال ... فالعالِم اليوم لا يحاول أن يعرف ويحدد شيئاً ثابتاً وسط التغير الحادث، بل يحاول أن يصف لنا نظاماً ثابتاً للتغير الجاري[41]، ولمّا كان الإنسان جزءاً من منظومة هذا الوجود فهو يجب أن

يتصف بالخصائص الطبيعية التي يحملها هذا الوجود، ومن أبرز هذه الخصائص هي التغير، فتكون الطبيعة البشرية متغيرة وفقاً لهذا النظام الكوني[42] .

كما أكد على فكرة تفاعل وتكيف الإنسان مع بيئته التي تشمل ما هو طبيعي واجتماعي، فمن ناحية يقوم هذا التفاعل بين الإنسان وبيئته المادية، ومن ناحية أخرى يتم بينه كفرد وبين غيره من الأفراد الذين يشكلون المجتمع، ولابد أن يستمر هذا التفاعل لكي يحقق نجاحه في العيش والبقاء ومواصلة الحياة،" فالبيئة هي كافة الظروف التي تتفاعل مع حاجات الفرد ورغباته وأهدافه وقدراته في لخلق الخبرة التي يمر بها، وحتى عندما يقيم الإنسان قصراً في الهواء فأنه لابد أن يتفاعل مع الأشياء التي يقيم صُرحها في مخيلته"[43]، ولذلك لا تكون هنالك عناصر ثابتة موجودة مسبقاً في شخصية الفرد تنسب للطبيعة البشرية، بل هنالك عناصر يتفاعل معها الفرد في سياق بيئته الطبيعية والاجتماعية، مما تحتم على هذه الطبيعة أن تتغير بحسب الحاجة .

وحتى وان كانت الطبيعة البشرية تتصف بالثبات والجمود فهي تعمل في مجموعة من الأحوال البيئية المختلفة، وتفاعلها مع هذه الأحوال هو ما يقرر النتائج والعواقب التي سوف تحصل[44]، فالنتائج التي تترتب عليها في حالة ثقافة معينة وما تنطوي عليه هذه الثقافة من علم وصناعة ودين وفن وقانون كل ذلك وغيره سوف يعمل على تغييرٍ ما في الجوانب الأصيلة والثابتة في الطبيعة البشرية، حتى تتمكن من خلق أشكال جديدة غير موجودة مسبقاً[45]، وبذلك يتعدّل ما كان يتصف بالثبات ليكون قابل للتغير مع كل بيئة وثقافة معينة .

3- الطبيعة البشرية بين الثبات والتغير :

يُفهم مما سبق إن موقف ديوي كان رافضاً أن تكون هناك طبيعة ثابتة للإنسان، مبنية فقط على أساس قوى فطرية تُسمى الغرائز، معتبراً الطبيعة الإنسانية متغيرة كونها مرتبطة مع البيئة الطبيعية والاجتماعية التي تؤثر على طبيعة الإنسان، فهو يؤمن بوجود نشاطٍ مكتسبٍ له أهمية كبيرة في سلوك الإنسان أطلق عليه اسم العادات[46]، وفي رأيه يكون هنالك نشاطٌ فطريٌ له أهمية وهي الدوافع impulses اذ تُعد المحور الذي يقوم بعملية تنظيم نشاط الإنسان تنظيماً جديداً، اذ تضفي على العادات صبغة وخصائص جديدة لم تكن موجودة من ذي قبل[47]، ويمثل

العنصر الفطري من طبيعة الإنسان الذي يُكسبه خصائص وراثية منذ الولادة، لأنه كائن حي في بيئة طبيعية وهبته كل الأدوات (الأعضاء المختلفة) التي يستطيع من خلالها العيش والتفاعل والاستمرار[48]، وهذا لا يتم إلا مع العنصر المكتسب الذي يستمده من بيئته ومحيطه الثقافي، إذ يقول في ذلك :"فأيّاً كانت العناصر الفطرية التي تُعد مقومات للطبيعة البشرية، فثقافة جماعة ما في عصر معين هي لا شك المؤثر الذي يتعين به نظام هذه العناصر، وهي التي تُعين طراز السلوك الذي يتميز به نشاط أية جماعة : أسرة كانت، أو قبيلة، أو شعباً، أو طائفة، أو حزباً، أو طبقة من الطبقات"[49]، فتفاعل العنصرين الوراثي والبيئي يعمل على تشكيل طبيعة الإنسان، وهذه الطبيعة تحدد سلوك الفرد وفقاً للمتغيرات التي تحيط به .

وقد شدد على موضوع العلاقة والتفاعل بين الطبيعة البشرية والثقافة، ومعالجة هذا الموضوع يتم من خلال دراسة الثقافات والمجتمعات القائمة بالفعل، اذ يقول:" فموضوع البحث هو الطرق التي تتفاعل بها مقومات محددة من الطبيعة البشرية– فطرية أو معدلة– مع مقومات محددة من مقومات ثقافة معينة كذلك، فضروب الصراع والاتفاق بين الطبيعة البشرية من جهة وبين القواعد الاجتماعية والعادات، تكون من نتائج طرق للتفاعل من الممكن تحديدها"[50]، ويرى أن خير مثال يعكس هذه الفكرة هي الثقافة الأمريكية American culture، فهي ثقافة نشأت على المال وحب الحصول على المكاسب المالية إلى حد كبير، إلا انه لا يمكن الادعاء أن ذلك جزء من تركيب الطبيعة البشرية الفطرية للفرد الأمريكي، وإنما هو جزء من ثقافة معقدة ومتشعبة ساعدت ظروفها على إيقاظ بعض النزعات الفطرية فيها، ومن ثم تعمل على تنظيمها وترقيتها بصورة يجعلها تنتج شكلاً معيناً من الأهواء والرغبات[51]، وهذا ما ينطبق على كافة الحضارات والثقافات والدول الأخرى التي تشكل ظروفها الخاصة بعض النزعات التي تنسجم مع متطلباتها وحاجاتها .

وعند الرجوع إلى المؤسسات الاجتماعية وتحديداً العسكرية، والبحث عن الأسباب التي تؤدي إلى نشوب الحرب بين المجتمعات الإنسانية، والنظر على أنها أمرا محتوماً لا يمكن إيقافه إلى الأبد، سيما وان الصراعات بين الأمم والشعوب مستمرة منذ أن وُجد الإنسان على وجه المعمورة والى يومينا هذا، فهل يمكن أن يكون السبب هو وجود قوة فطرية واحدة وثابتة – وهي غريزة القتال– عند الإنسان سبباً في قيام الحرب ؟ بالتأكيد هنالك قوى ودوافع عديدة لا حصر لها

تؤدي إلى إثارة الحروب، فمثلاً الخصام، المنافسة، الغرور، الغنيمة، الخوف، الشك، الغضب، حب القوة، حب الوطن، الشجاعة، الإخلاص ... الخ، جميع هذه الطاقات يمكن أن تُستثمر في مجالات أخرى غير الحروب تنتفع منها المجتمعات بشكل أفضل، وبصورة تجعلها تتطور وترتقي وتحقق ما لم تستطع تحقيقه لفترات طويلة، وبذلك لم يكن الإنسان القديم الثابت الذي لا يتغير هو السبب في إثارة الحروب وإنما الظروف الاجتماعية هي التي تعمل على ذلك، والدوافع المستعملة في هذه الظروف يمكن توجيهها وجهات أخرى[52]. وخلاصة الكلام أن الطبيعة البشرية في نظر ديوي تتكون من تفاعل عوامل الوراثة مع عوامل البيئة، أي عوامل بيولوجية وطبيعية في آن واحد لتشكيل طبيعة الإنسان، فهو لا يجانب طرفاً دون آخر بل كان موقفه وسطاً بين ما يورثه من صفات بيولوجية ثابتة وما يكتسبه من بيئته الطبيعية والاجتماعية المتغيرة .

ثالثاً : النسق القيمي وصلته بالطبيعة البشرية عند ديوي

1- الأخلاق والطبيعة البشرية :

نالت الفلسفة الأخلاقية مكانة كبيرة واحتلت مساحة واسعة في فلسفة جون ديوي، إذ نجدها في مجموعة كبيرة من مؤلفاته الفلسفية والنفسية والتربوية ناهيك عن مؤلفاته التي تخصصت في مجال النظرية الأخلاقية[53]، فالطابع العام الذي وصفت به فلسفته هو طابع أخلاقي، والوظيفة الرئيسة للأخلاق في رأيه هي تشخيص مواطن العلل والأمراض التي تتطلب علاجا في حالة معينة، وبعدها وضع طرق وخطط في سبيل معالجتها، واستبعاد الأسباب التي أبقتها النظريات الأخلاقية في دائرة النزاع والجدال، وأبعدتها عن الاتصال بما هو نافع بمقتضيات الحياة العملية[54]، بينما الوظيفة الرئيسة عند سائر النظريات الأخلاقية الكلاسيكية على اختلاف مشاربها هو الكشف عن خير نهائي أو قانون نهائي أو غاية سامية نهائية[55]، لذا فان الأخلاق عند ديوي نابعة من الحياة التي يعيشها الإنسان وليست سابقة عليه، فهي أخلاق متغيرة ومرنة ترتبط بتغير مجريات الحياة التي ينشأ معها الإنسان .

والأخلاق في نظره هي أكثر الموضوعات إنسانية وأقربها إلى الطبيعة البشرية، فجميع العلوم التي تبحث في طبيعة الإنسان ومكانته سواء الجانب النفسي منه أو البيولوجي المتمثل بعلم النفس أو علم وظائف الأعضاء أو علم الإنسان (الانثروبولوجيا) أو علم الطب، فجميع أبحاث

هذه العلوم يمكن أن تكون ميداناً للبحث الأخلاقي[56]، والإنسان بطبيعته ينشأ ويعيش في بيئة مثله مثل أي مخلوق آخر، يستمد طاقاته وإمكاناته منها ويتفاعل وينمو كي يمارس نشاطاته ويعبر عن سلوكه . وكل العلوم التي تمدنا بمعرفة عن الإنسان لابد أن تكون جزءاً من المعرفة الأخلاقية المنظمة، فهي تساعدنا على فهم بيئة الطبيعة الاجتماعية التي يعيش في كنفها الإنسان، ووفقاً لها ينطلق الإنسان في التخطيط وتعديل مساره نحو الأفضل، وبهذا لا يمكن أن تكون الأخلاق مفارقة لهذه الطبيعة التي يعيش فيها الإنسان، فعلم الأخلاق هو معرفة بيولوجية تاريخية وضعت في محتوى أنساني لترشده وتضيء نشاطه[57] .

وبهذا فقد بحث ديوي عن الجانب البيولوجي في الأخلاق مبتعداً عن الجوانب الأخرى مثل الجانب الميتافيزيقي واللاهوتي، فهو يريد أن يقحم الأخلاق بما هو طبيعي دائماً، بل ذهب ابعد من ذلك في تطبيقه للمنطق التجريبي على القضايا الأخلاقية، وجعلها متوقفة على تغيير ظروف الناس من خلال تشخيص المشاكل التي يُعانون منها، فتضفي صفة الخيرية على كل صفة يقال عنها إنها خير من خلال ما تؤدي إليه من تحسين في أحوال الشرور التي يعاني منها البشر[58]، وبذلك فقد أخضع الأخلاق للمنهج العلمي إيمانا منه بقدرة العلم على حل المشاكل التي تواجه الناس، وأحكام التجربة العلمية التي طبقها على العلوم الطبيعية في نظريته الأداتية لم يستثنِ منها علم الأخلاق، ورفضه للنظريات الأخلاقية كان مبنياً على أساس تمسكها بالقيم والغايات الثابتة في الأحكام الأخلاقية، والتي قد تحددت وثبتت من قبل في الطبيعة الإنسانية، بينما نجد ديوي يجعل القيم والغايات متغيرة بحسب المواقف، فتكون الغايات عبارة عن خطة ترسم لنا طرائق السلوك الإجرائي، فتعمل على حل موقف مشكل مشكوكاً في أمره يستثير فينا ويتطلب منا أن نتخذ فيه حكماً محدداً، وليس الغايات هي أشياء في ذاتها نسعى إلى إدراكها فحسب بل هي خطط لطرائق الفعل[59].

وهذا المنهج لابد أن يطبق على جميع العلوم الاجتماعية والطبيعية حسب ما يعتقد ديوي، وإذا كان هدفها هو الوقوف على المشاكل التي تواجه الإنسان وتحديد مكامن الخلل، ومن ثم وضع الحلول اللازمة من أجل حل جميع الإشكالات، مما ينجم عن ذلك تخفيف وإزالة متاعب الإنسانية، فعند ذلك تصبح جميعها أخلاقية وجزءاً من البحث الأخلاقي، وبناءً على ذلك لا يمكن

فصل العلوم ومن ضمنها علم الأخلاق عن الإنسان، بل حتى العلم الطبيعي يصبح إنسانيا في صفاته[60].

وقد أعطى لفكرتي الخير والشر أهمية كبيرة في هذا السياق، إذ ارتبط تحقيق الخير بالقضاء على المتاعب وحل المشكلات التي تواجه الإنسان وتعيق مسيرته في الحياة، ويتم ذلك عن طريق التفكير والممارسة وهو كما عبر عنه ديوي "أن الخير يتضمن معنى نمارسه وينتمي إلى نشاط ينتهي فيه الصراع والتعويق للدوافع والعادات المتعارضة المختلفة، بتحرر موحد منظم لهذه الدوافع والعادات يظهر في العمل"[61]، فهو ينتج عن سلوك ونشاط الإنسان وتحققه مرتبط بالتوافق والانسجام الذي ينتج عنه، أما الشر فأساسه التصدع والتنافر الذي يحدث بين الدوافع والعادات، وقد اتخذ موقفاً وسطاً بين من يدعي إن الطبيعة البشرية خيرة بالأصل ومن يرى بأنها شريرة، فالأول يقول "أن الطبيعة البشرية طبيعة غير اجتماعية في جوهرها، لذا ينتج عنها تناحر الناس فيما بينهم وحروب الكل ضد الكل"[62]، ضمن هذا المبدأ يكون الإنسان عدو لأخيه الإنسان لما يمتلكه من طبيعة تتصف بالغلاضة والشر، أما الثاني فأكد "أن طبيعة الإنسان تمتاز بكل المناقب والمحاسن التي تعكس الطبيعة البشرية الأصيلة التي تمتاز بالخيرية والنقاء"[63]، فالخير والشر لا يمكن أن يشكلا على انفراد طبيعة الإنسان الأصيلة، بل الطبيعة البشرية قابلة للتشكل وفقاً للتفاعل بين ما يمتلكه الإنسان من غرائز أو دوافع وبين الظروف المحيطة به من عادات وتقاليد، وهذا يتم من خلال العقل وعن طريق التفكير .

2- الفن والطبيعة البشرية :

من المبادئ الأساسية التي ترتكز عليها نظرية ديوي في الفن هي الخبرة الجمالية aesthetic experience بشكل خاص والخبرة بعمومها، وهي مسألة نابعة أيضا من تفاعل وانخراط الإنسان في بيئته المادية من أرض ومناخ وتضاريس وغيرها، بالإضافة إلى بيئته الإنسانية بما تمثله من أسرة وقبيلة ومجتمع، وذلك يعني إنها تشمل مواد البيئة المحلية كما تشمل عناصر التقاليد والأعراف والأنظمة الاجتماعية، وبهذا فأن الإنسان يجلب معه قوى فطرية ومكتسبة تقوم بدورها في عملية التفاعل[64]، ويتم ذلك من خلال استخدامها في البيئة الطبيعية والبيئة الاجتماعية التي نعيش فيها، وبهذا لا يكون العنصر الجمالي شياً دخيلاً على التجربة البشرية، بل هو منبثق من صلبها ومعبراً عنها بصورة أوضح وأكمل[65]، فلا وجود لما يفصل

الخبرة الجمالية عن الخبرة الاعتيادية اليومية، فجميع الناس يمتلكون خبرة جمالية متفاوتة في الدرجة تحتمه عليهم طبيعتهم .

لو نظرنا إلى فلسفة الفن وعلاقتها بالطبيعة الإنسانية لوجدنا الاهتمام الكبير من قبل ديوي تجاه هذا الموضوع وتحديداً فيما يتعلق بالجوانب النفسية، إذ يعد العوامل النفسية عنصراً ضرورياً من عناصر فلسفة الفن، وكثير من نظريات علم النفس كان لها تأويلات مختلفة بعضها عن البعض الآخر فيما يخص المصطلحات النفسية المرتبطة بالخبرة الجمالية، إذ نجد مجموعة من الكلمات مثل : حدس، إرادة، إحساس، انفعال، تأمل، تداع، وغيرها من الكلمات، قد اختلفت معانيها ودلالاتها من مدرسة إلى أخرى، فلو نأخذ كلمة " إحساس " sensation نجد لها فهماً مختلفاً، إذ فُهمت من ناحية على إنها المقوم الأساس للخبرة مما يعطيها قيمة وأهمية عظيمة، وفُهمت من ناحية ثانية على إنها انحدرت من الأشكال الدنيا الحيوانية مما يجعلها شيئاً حقيراً في الخبرة الإنسانية[66] .

هنالك خصائص فردية تعكس اهتمام الفرد والاتجاه الوجداني لديه، وذلك ينطبق على الفنان عندما ينظر إلى عمله الفني وكشف دوره الشخصي للخبرة الجمالية، فالأعمال الفنية التي ينتجها الفنانون تكون مختلفة ونادرة، مما يضفي عليها طابع الإبداع لتميزها وخصوصيتها، وهنالك أيضاً ميزات عامة تتصف بها الطبيعة البشرية فيما يخص الخبرة الجمالية، وهذا يمثل تركيباً واحداً يشترك بين جميع الأفراد العاديين الأسوياء حسب تعبير جون ديوي، فمثلاً يمتلكون نفس الأعضاء والأيدي والأرجل والأبعاد والحواس والعواطف، ويتغذون من نفس الأطعمة ويُصابون بالأمراض نفسها، كما يُشفون بنفس الطرق العلاجية، ويبردون تحت تأثير نفس التقلبات الجوية أو التغيرات المناخية[67]، ولكن هل يمكن اعتبار هذه الخصائص ثابتة ومطلقة – سواء الفردية أو العامة – للطبيعة البشرية؟، أو هي خصائص متغيرة نسبية تتبع تغيّر مفهوم الفن من مكان لآخر ومن عصر لآخر، لان الطبيعة البشرية كانت مختلفة بالنسبة للبشر في جميع العصور[68]، والثقافات المتنوعة تفهم ذلك بصورة مختلفة وبالتالي فإنها مفاهيم لا يمكن أن تضفي عليها محتوى كلي، رغم ذلك يجب إثبات وجود عناصر في الطبيعة البشرية تفرض نفسها على الجميع، وأبرز الأمثلة على ذلك هو الجوع والألم والموت والاهتمام والمرح والجنس والخوف

وغيرها[69]، فسواء كانت الطبيعة البشرية ثابتة أو متغيرة فهي لابد أن ترتبط بالفن، الذي يعمل بدوره على إبراز قيمة الإنسان وتجربته خلال مسيرته المستمرة بالحياة .

الفكرة الأساسية في مسألة الفن وعلاقته بالطبيعة البشرية هي عدم وضع فاصل بين ما هو عقلي وبين ما هو حسي، أو بين الجانب الانفعالي والجانب التصوري أو بين المظاهر التخيلية والمظاهر العملية للطبيعة البشرية[70]، فتتشكل الخبرة من تفاعل هذين الجانبين : الذات والموضوع أو النفس وعالمها، فلا يمكن أن تقتصر على جانب واحد دون الآخر، وهي ليست جسمية خالصة أو ذهنية بحته بل مركبة منهما معاً بغض النظر عن تفوق احدهما على الآخر، وحتى الخبرات الذهنية بوصفها مميزة وذات طابع أكثر موضوعية، لا تفهم إلا حين تكون ضمن الخبرة الاعتيادية المتكاملة[71]، وهذا يتم عن طريق اندماج الداخلي والخارجي the inner and the outer والمعروف عند ديوي بالروح والجسم أو العقل والعالم أو الذات والموضوع أو النفس والجسد[72]، فهو يرفض هذه الثنائية من ناحية أن كل واحد منهم له طبيعة مختلفة أو وظيفة مغايرة عن الآخر.

والفصل الذي قام به فلاسفة الجمال[73]بين الذات والموضوع أو الكائن الحي والعالم، ناجم من فكرة إسقاط projection يقوم بها الذهن على الموضوعات، وهي الأصل في تعريف الجمال بأنه "اللذة المموضعة" أي التي اكتسبت طابعاً موضوعياً[74]، فالموضوعات شيء وما يقوم به الذهن شيء آخر، وفكرة التفرقة بين الذات والموضوع غالباً ما يمتاز بها المفكر المحترف المتخصص بالنظرية الجمالية، فيقول عنه ديوي :" فهو يقرب البحث في الفن مزوداً بنظرة تحيزية قوية، نظرة هي لسوء الحظ من أخطر النظريات أشدها فتكاً بكل فهم جمالي"، أما الخبرة الجمالية الحقيقية فهي مبنية على أساس انعدام التفرقة بين الذات والموضوع، وتآزر واندماج الجهاز العضوي والبيئة، بحيث يختفي كل واحد منهما بوصفه مستقلاً عن الآخر[75]، ويوضح تلك الفكرة بمثال: "عند رؤية منظر طبيعي أصفر اللون، يكون النظر حينها بمنظار اصفر أو بعينين مصابتين بمرض الصفراء، فلا يمكن إطلاق اللون الأصفر على المنظر الطبيعي من جهة الذات وكأنه قذيفة، وإنما تنتج صفرة المنظر الطبيعي عن التفاعل العّلي للعامل العضوي مع العامل البيئي، وإذا شئنا توضيح الصورة أكثر فنقول ان الماء الذي يوصف بالبلل أو الرطوبة هو نتاج لتفاعل الهيدروجين مع الأوكسجين"[76]. فالخبرة الجمالية التي تشكل الطبيعة البشرية

تتولد من الخبرة المعاشة للإنسان، وتتم عن طريق التفاعل بين ذاته وعالمه ليعبّر بها عن إبداعه الفني لتتجلى وتظهر في النهاية بأشكال مختلفة مثل الرسم والموسيقى والسينما ...الخ.

3- التربية والطبيعة البشرية :

يرى ديوي أن النظريات التي وضعها الفلاسفة في مجال التربية قد أثبتت فشلها ولا يمكن الاعتماد عليها في الوقت الراهن، بسبب ظهور مشاكل جديدة لم تكن موجودة مسبقاً ولا يمكن حلّها وفقاً للأنظمة والقواعد القديمة المعتمدة[77]، ومن أبرز المبادئ التي رفضها والتي تقوم عليها فلسفة التربية آنذاك، هو أن تنحصر مهمة المدرسة في نقل المهارات والمعارف من الجيل القديم إلى الجيل الجديد، ووجوب الالتزام بالمقاييس والقواعد الثابتة للسلوك، فيكون من واجب التربية الخلقية هو بناء عادات السلوك لتلك المقاييس والعادات القديمة، كما تتميز التربية التقليدية بطابع التنظيم المدرسي الذي يجعل المدرسة تختلف عن جميع المؤسسات الاجتماعية الأخرى من ناحية القواعد والأنظمة[78] .

وترجع نظم التربية التقليدية إلى الفلسفة اليونانية وتحديداً عند أفلاطون، الذي بنى نظريته في التعلم على أساس الفصل بين الجسم والعقل[79]، تلك الثنائية التي رفضها ديوي في كل مفاصل فلسفته التربوية، لأنها ناتجة عن التمييز بين عالمين : الأول هو العالم العلوي الذي تكمن فيه كل القوى التي تتحكم في مصير الإنسان بجميع الأمور الهامة، وهذا العالم نفسه الذي أهتم به الدين، أما الثاني فهو العالم الطبيعي الذي يشمل على ما هو متعارف ودارج عند الإنسان[80]، وهذه الثنائية في الطبيعة البشرية جعلت الروح تستقر في العالم الأول، بينما الجسم فمكانه في العالم الطبيعي، إذ اعتاد عليه الإنسان بما يمتلك من حواس في الارتباط به، فالحقائق تكمن في النفس وبمقدور أي شخص أن يصل لها من خلال نشاطه الذاتي، لهذا ينحصر دور المعلم في التوجيه والمناقشة وإثارة الأسئلة من أجل التذكير[81]. كما رفض تقسيمه الطبقي للمجتمع وإخضاع كل فرد لطبقة معينة حسب استعداده الطبيعي، فعمل على تصنيف الأفراد وفق قواهم الأصيلة في أصناف مختلفة ومنفصلة، وجعل وظيفة التربية بالدرجة الأولى هي الكشف عن الاستعداد لصاحبه وكيفية حسن استغلاله، لكن في الحقيقة إن استعدادات الأفراد وعددها لا حد له[82]، وله من القدرات والإمكانات التي لا حصر لها، والطبيعة البشرية لا تكون مقيدة ولا جامدة وإنما تكون مرنة وقابلة للتغير والتبدل حسب الظروف .

ورؤية ديوي المختلفة للطبيعة البشرية جعلته يرفض تلك النظريات التي تفصل ما بين جسم الإنسان وعقله، وترى إن وسيلة التعلم الوحيدة هي العقل، بينما ديوي يعتمد على الاثنين من خلال عدم الاستغناء عن الأعمال الجسدية حتى في الدروس التي تُحتم استعمال العقل في تعلمها، فكل تلميذ يستخدم حواسه وبالأخص العين والأذن لكي يتمكن من استيعاب ما تحويه الكتب والخرائط والسبورات وما يقوله المعلم، كذلك استخدام أعضاء الصوت والأيدي من أجل التكلم والكتابة، لكي يعبروا عن ما لديهم من معرفة، فالحواس هي المسلك الذي تسلك فيه المعلومات من العالم الخارجي إلى العقل، لذا فهي منافذ وطرائق للمعرفة[83]، والعقل لا ينفصل عن العالم وهو القوة الوحيدة التي يتم بها عملية التعلم، وما يمتلكه من قوى لابد أن ترتبط مع قوى الجسم ويكون التفاعل فيما بينهم مستمر، فالطبيعة الإنسانية لا ينظر إليها من زاوية واحدة، بل هي كل متكامل يتكون من جسم وعقل متفاعلين، وحال الطفل في التربية يتعلم بجسمه كما يتعلم بعقله، ووجود احدهما يعتمد على الآخر[84]، وبذلك لا ينظر ديوي للعقل على انه قوة مفارقة بل هو قوة طبيعية ضمن نطاق تجربة الإنسان وخبرته الحياتية .

وتعمل البيئة الاجتماعية على تكوين الميول العقلية والعاطفية في سلوك الإنسان، ويعد الوسط الاجتماعي عاملاً تربوياً أساسياً يؤثر على الطبيعة الإنسانية، وكلمتي البيئة والوسط لا يقتصر معناهما على الأشياء التي تحيط بالفرد، بل يحملان معنى أوسع إذ يدلان على انسجام المحيط مع ميول الفرد الفعالة بصورة مناسبة[85]، فيعمل الوسط الاجتماعي على تهيئة الظروف المناسبة التي تجعل الفرد يأخذ ببعض أساليب العمل المحسوس، كما تشركه في عمل الجماعة بحيث يدرك بأن نجاحه وفشله متوقف عليها[86]، فمثلاً " الطفل الذي ينشأ في أسرة موسيقية لابد أن تتحرك فيه المواهب الموسيقية أكثر من باقي دوافعه وقواه الطبيعية الأخرى التي كانت توقضها غير هذه البيئة، فان لم يشارك أسرته في الميل والاندفاع نحو الموسيقى ولم يكتسب أي شيء من المهارة، فسوف يكون غريباً عنها ولا يستطيع مشاركتها في حياتها، وبهذا الاشتراك يكون للبيئة الاجتماعية أثر غير متعمد في تربية الفرد وتكوينه بغض النظر عن أي هدف أو غرض معين"[87]، فالطبيعة البشرية تحتم على الفرد أن يكتسب من محيطه الاجتماعي والأسري، حتى وان كان غير متعمد وغير منظم إلا انه جزء من التربية التي يكتسبها الفرد خلال مسيرة حياته .

4- السياسة والطبيعة البشرية :

انتقد ديوي الفلسفة السياسية المبنية على أسس تقليدية كونها تهتم بأنواع وماهيات ثابتة في عالم مغلق، وانتقدها بصفة خاصة عند تطبيقها على طبيعة الإنسان، مبيناً انه يملك من الإمكانات التي لا حدود لها من التطور والتغير، متأثرا في ذلك بعِالم التاريخ الطبيعي والجيولوجي جارلس داروين[88]، كما ويُعد ديوي من أشهر الفلاسفة الذين كتبوا ودافعوا عن الديمقراطية democrats، إذ أراد أن يطبقها في جميع ميادين الحياة، وقد عكف على صياغة شاملة وتصور كلي للديمقراطية حتى يتمكن من تقديم فلسفة تشكل فهماً ديمقراطياً للأخلاق والفن والتربية وغيرها من مجالات الفكر الكثيرة[89]، لذا اختلفت رؤيته في مجال السياسة عن باقي الفلاسفة الذين تنحصر رؤيتهم السياسية في مجال الدولة، فكانت الديمقراطية في نظره تمثل ضرباً من ضروب الحكومات، وفي الوقت نفسه تمثل شكل الحياة القائمة على إنتاج المجتمع للحرية[90]، فكان همّه تحقيق الديمقراطية في كل صورة من صورها سواء السياسية أو الاجتماعية، والشرط الأساس في تحقق الديمقراطية هو تحقق الحرية .

يكمن أساس الارتباط بين السياسة والطبيعة البشرية في نظر ديوي فيما يراه الناس منسجما في طبيعة الإنسان مع آرائهم ومعتقداتهم السياسية، فيأخذون من الأفكار مع ما يتوافق وأغراضهم السياسية، فمثلا يقوم حزب معين أو مؤسسة سياسية على ترويج أفكار حول طبيعة الإنسان، وكانوا يدعون أن ترويجهم مبني على أساس أفكار علمية كونها ناتجة من دراسة لطبيعة الإنسان السيكولوجية[91] والتي تحدد الخصائص الثابتة وتضفي الصفة الفطرية لطبيعة الإنسان، كما يوجد هذا الارتباط أيضا عندما يرى الشعب أن حقوقه قد سُلبت، وقد تم ذلك من خلال طبقة معينة استولت على الحكم والسلطة، فيرى " أن الصلة بين تأكيد الديمقراطية في الحكم وظهور الشعور الجديد بالطبيعة البشرية وثيقة وعميقة ... وكانت النظم الاجتماعية والأشكال السياسية تُعد فيها تعبيراً عن الطبيعة ومجلي من مجاليها"[92] .

لذا كانت الحرية من الموضوعات المهمة التي ارتبطت بطبيعة الإنسان من خلال ميله لتحقيق العدل والديمقراطية في الدولة، فالإنسان يمتلك حرية طبيعية natural freedom

تقوم بتحقيق التوافق والانسجام بينه وبين محيطه من خلال التفكير والذكاء، فهي قبل كل شيء قوة داخلية سابقة على كل نوع من الحرية تختص بالفرد كفرد، وبعد تفاعل الفرد في المجتمع يتشكل نوع من أنواع الحرية سياسية كانت أو اقتصادية أو دينية أو غير ذلك[93]، ففي البدء تمثل دافعاً واستعداداً بالنسبة للإنسان بعد ذلك تحولها البيئة إلى عمل ونشاط من اجل تغيير العادات والتقاليد السائدة في المجتمع، وينتج عنه نوع آخر من الحرية يسمى بالحرية الاجتماعية[94] social freedom، فظهور وتجلي الحرية الفردية من خلال تفكير وذكاء الإنسان المكون للطبيعة البشرية الثابتة، بينما الحرية الاجتماعية فتبرز من خلال الانصهار في المجتمع الذي يتصف بالتغير .

نتائج البحث :

1- اختلف الفلاسفة في أرائهم حول موضوع الطبيعة البشرية، فبعضهم أراد تفسير طبيعة النفس على مفاهيم النفس والماهية والجوهر، وهذا ما نجده تحديداً عند فلاسفة اليونان، فيكون لكل إنسان طبيعته التي تحدد صفاته وخصائصه مما تجعله يمتلك طبيعة ثابتة، وآخرون تميزت نظريتهم بالطابع الديني عندما رأوا أن الطبيعة الحقيقية للإنسان تكمن في الرجوع والارتباط بالله، وهذا موقف جل فلاسفة العصور الوسطى، أما فلاسفة العصور الحديثة والزمن المعاصر فقد اتجه اهتمامهم إلى الطبيعة واهتمام الإنسان بالعلم، مما جعلهم يفسرون الطبيعة البشرية على أساس تجريبي مما يجعلها طبيعة متغيرة .

2- أراد ديوي أن يوفق بين ثبات الطبيعة البشرية وتغيرها، فهي لا تكون ثابتة مطلقاً ولا متغيرة مطلقاً بل تمتلك عناصر ثابتة ومتغيرة يؤثر احدهما على الآخر، فعناصرها الثابتة هي الفطرية الموجودة بشكل متساوٍ عند جميع البشر، بينما المتغيرة فهي المكتسبة والتي تتمثل بتقاليد وأعراف وعادات المجتمعات، لذلك فهي مختلفة ومغايرة من مجتمع لآخر، وهو بموقفه هذا جمع آراء الفلاسفة الذين يؤمنون بثبات الطبيعة البشرية مع الفلاسفة الذين يؤمنون بتغيرها .

3- لا يمكن فصل الخبرة والتجربة عن فلسفة ديوي فهما يشكلان دعائم الطبيعة البشرية التي ترتبط بالجانب العقلي للإنسان من جهة، وبالجانب البيولوجي من جهة أخرى، حيث يندمجان ويتفاعلان مع بعضهما فيؤثر التفكير على الجسم وأعضائه كما يكون تأثير الجسم فعالاً على التفكير، فينتج عن ذلك خبرة وتجربة حقيقية نتيجة اندماج القوى العقلية والجسمية في بيئة ووسط اجتماعي .

4- تُعد الأخلاق من أكثر الميادين المعرفية ارتباطاً بالطبيعة البشرية، لأنها المرآة التي تعكس الصورة الواضحة لحقيقة الإنسان، وكما يصفها ديوي بأنها الوسيط بين جميع العلوم وبين الطبيعة البشرية، وقد رفض الأخلاق المبنية على طبيعة ثابتة لان القيم الأخلاقية دائمة التغير والتبدل، لذا فإن الخير والشر ليسا جزءًا من طبيعة الإنسان الثابتة بل نتيجة لنشاط أو ممارسة يقوم به الإنسان .

5- لكل إنسان خبرة جمالية من صلب طبيعته وفطرته، وان كان هنالك اختلاف بين البشر فهو ليس وجود أو عدم وجود هذه الخبرة بل الاختلاف في درجتها، لأن أصل هذه الخبرة يرجع إلى المحيط الذي يعيش فيه الإنسان، وكل فرد لا بد أن يعيش في بيئة ما ليكتسب الخبرة، وتنمية وصقل هذه الخبرة هو الذي يجعل ويعزز التفاوت في الخبرة الجمالية .

6- في نظر ديوي يشكل العقل والجسم الطبيعة البشرية وهما أساس التعلم عند الإنسان، فالجسم يستمد مسلكه وطريقه من العقل أثناء التفكير، كما إن العقل يستمد خبراته وتجاربه من حواس الجسم بارتباطه بالعالم الخارجي، وبذلك لا يمكن فصل العقل عن الجسم لأنهما يرتبطان ويتفاعلان معاً، وهذا يتم في وسط اجتماعي محدد يؤثر على طبيعة الإنسان ويعطيها خصائص معينة .

الهوامش والمصادر :

(1) إبراهيم، زكريا، مشكلة الإنسان، دار مصر للطباعة، القاهرة، ص 7 .

(2) من ابرز العلوم التطبيقية التي اهتمت بدراسة طبيعة الإنسان هي : الطبيعة والكيمياء، علم الأحياء، علم التشريح ووظائف الأعضاء .

(3) ادلر، الفريد، الطبيعة البشرية، ت : عادل نجيب بشرى، ط1، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، 2005، ص 19 .

(4) شيشرون : سياسي وكاتب روماني عاش بين عامي (106- 43 ق.م)، اهتم بالفلسفة طوال حياته وكتب عدداً من المؤلفات في فترة عزلته السياسية، عُرف على انه من نقلة الفلسفة اليونانية إلى اللاتينية، امتازت فلسفته بالامذهبية ومزج الفلسفة بالبلاغة لأنه يعتقد أن هذه ألطريقه سوف تحقق الاستخدام الأمثل للمعرفة خدمة للبشرية، إذ أن الفلسفة تقدم المعرفة والبلاغة تجعلها مؤثرة، ابرز مؤلفاته هي : المساجلات التوسكولانية، الواجبات، الجدل، طبيعة الآلهة، القدر، العرافة، الجمهورية .

(5) كرم، يوسف، تاريخ الفلسفة اليونانية، لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، 1936، ص 67- 68 .

(6) المنياوي، أحمد، جمهورية أفلاطون،ط1، دار الكتاب العربي، دمشق،2010، ص 115 .

(7) المصدر السابق : ص 116 .

(8) ديورانت، ول، قصة الفلسفة من أفلاطون إلى جون ديوي، ت : فتح الله محمد المشعشع، ط4، مكتبة المعارف، بيروت، 1979، ص31 .

(9) جمهورية أفلاطون، ص 189 .

(10) طاليس، أرسطو، كتاب النفس، ت : أحمد فؤاد الأهواني، ط2، المركز القومي للترجمة، القاهرة، 2015، ص 42،43.

(11) بدوي، عبد الرحمن، أرسطو، ط2، دار القلم، بيروت، 1980، ص 237 .

(12) المصدر السابق ، ص 238 .

(13) المصدر السابق ، ص 239 .

(14) غنارسكيربك و فلز عيليجي، تاريخ الفكر الغربي من اليونان القديمة إلى القرن العشرين، ت : حيدر حاج إسماعيل، ط1، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، 2012، ص 180 .

(15) ديورانت، ول، قصة الفلسفة من أفلاطون إلى جون ديوي، ص 94 .

(16) القديس، أوغستينوس، اعترافات، ت : إبراهيم الغربي، ط2، التنوير للطباعة والنشر، بيروت، 2015، ص 15 .

(17) ترانثي وماركوس، مقالات في فلسفة العصور الوسطى، ت: ماهر عبد القادر، دار المعرفة الجامعية، القاهرة، 1977، ص 75 .

(18) المصدر السابق، ص 58 .

(19) جلسون، ايتين، الفلسفة المسيحية في العصور الوسطى، ت : إمام عبد الفتاح إمام، ط3، التنوير للطباعة والنشر، بيروت، 2009، ص 282، 283 .

(20) ترانثي وماركوس، مقالات في فلسفة العصور الوسطى، ص136 .

(21) سكيربك و عيليجي، تاريخ الفكر الغربي (من اليونان القديمة إلى القرن العشرين)، ت : حيدر حاج إسماعيل، ط1، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، 2012، ص 277 .

(22) عبد الفتاح، إمام، توماس هوبز فيلسوف العقلانية، دار الثقافة للنشر، القاهرة، 1985، ص 84، 85 .

(23) اللفياثان أو ما يسمى بالتنين الضخم : لهذا الكتاب تأثير كبير في ميدان السياسة إذ يأتي من حيث الأهمية بعد كتاب الأمير للمفكر والفيلسوف الايطالي نيقولا ميكيافلي، وقد استوحى تسميته من كائن خرافي بجسم أفعى ورأس تنين، وهذا التنين الضخم هو الذي يمثل الجهورية أو الدولة التي يقطنها الإنسان .

(24) هوبز، توماس، اللفيثان " الأصول الطبيعية والسياسية لسلطة الدولة "، ت : ديانا حرب و بشرى صعب، ط1، هيئة أبو ظبي للثقافة والتراث، أبو ظبي، 2011، ص 17 .

(25) المصدر السابق، ص 130، 131 .

(26) روسو، جان جاك، أصل التفاوت بين الناس، ت : عادل زعيتر، مؤسسة هنداوي، القاهرة، 2013، ص 29 .

(27) المصدر السابق، ص 34 .

(28) كرم، يوسف، تاريخ الفلسفة الحديثة، دار المعارف بمصر، القاهرة، 1962، ص 202 .

(29) روسو، جان جاك، أصل التفاوت بين الناس، ص 34 .

(30) روسو، جان جاك، في العقد الاجتماعي، ت : ذوقان قرقوط، دار القلم، بيروت، د : ت، ص 48 .

(31) يُعد هذا الكتاب الذي طبع عام 1922 من الكتب الرئيسة التي عالج فيها ديوي مشكلة طبيعة الإنسان وسلوكه، حيث عرض فيه مجموعة من النظريات المختلفة حول طبيعة الإنسان، بالإضافة إلى النظريات الأخلاقية المختلفة التي قام بنقدها، ويرجع أصل هذا الكتاب إلى مجموعة من المحاضرات التي ألقاها ديوي على مجموعة من الطلبة في الولايات المتحدة الأمريكية بدعوة من هيئتها التدريسية عام 1918 .

(32) ديوي، جون، الطبيعة البشرية والسلوك الإنساني، ت : محمد لبيب النجيحي، مؤسسة الخانجي، القاهرة، 1963، ص 129 .

(33) المصدر السابق، ص 130 .

(34) كاسيرر، ارنست، مدخل إلى فلسفة الحضارة الإنسانية (مقال في الإنسان)، ت : إحسان عباس، دار الأندلس، بيروت، ص 133 .

(35) المصدر السابق، ص 130 .

(36) المصدر السابق، ص 131.

(37) ديوي، جون، الحرية والثقافة، ت : أمين مرسي قنديل، مكتبة الانجلو المصرية، القاهرة، 1955، ص 153، 154 .

(38) ديوي، جون، الطبيعة البشرية والسلوك الإنساني، ص 132 .

(39) ترجع هذه الفكرة بالأصل إلى هرقليطس (540–475 ق.م)، إذ يتلخص كل مذهبه بمقولته الشهيرة " الأشياء في تغير دائم ومتصل"، والحقيقة الوحيدة لديه هي التغير فيقول في ذلك "انك لا تنزل مرتين للنهر لان مياهه تتغير في كل لحظة" .

(40) أول من ترجم هذا الكتاب هو أمين مرسي قنديل وراجعه الدكتور زكي نجيب محمود، وترجم تحت عنوان تجديد في الفلسفة .

(41) ديوي، جون، إعادة البناء في الفلسفة، ت : أحمد الأنصاري، ط1، المركز القومي للترجمة، القاهرة، 2010، ص 80 .

(42) محمد،الشيخ، التحليل ألفاعلي (نحو نظرية حول الإنسان)، ط1، دائرة الثقافة والإعلام، الشارقة، 2001، ص 70 .

(43) ديوي، جون، الخبرة والتربية، ت : محمد رفعت ونجيب اسكندر، مكتبة الانجلو المصرية، القاهرة، د.ت، ص 46 .

(44) ديوي، جون، الحرية والثقافة، ص 160. كذلك ينظر : ابل، روبن، الإنسان هو المقياس، ت : مصطفى محمود، ط1، المركز القومي للترجمة، القاهرة، 2011، ص 214 .

(45) المصدر السابق، ص 161 .

(46) ديوي، جون، الطبيعة البشرية والسلوك الإنساني، ص 7 .

(47) المصدر السابق، ص 8 .

(48) ديوي، جون، المنطق– نظرية البحث، ت : زكي نجيب محمود، المركز القومي للترجمة، ط3، المركز القومي للترجمة، القاهرة، 2010، ص 88 .

(49) ديوي، جون، الحرية والثقافة، ص 24 .

(50) المصدر السابق، ص 45 .

(51) المصدر السابق، ص 25 .

(52) ديوي، جون، الطبيعة البشرية والسلوك الإنساني، ص 135 .

(53) من أهم المؤلفات الأخلاقية لديوي حسب تسلسل صدورها هي : نظرية في الأخلاق theory of ethics عام 1891، دراسة الأخلاق the study of ethics عام 1894، كتاب الأخلاق ethics عام 1908، المبادئ الأخلاقية في التربية moral principles in education عام 1909، الديمقراطية والتربية democracy and education عام 1915، إعادة البناء في الفلسفة reconstruction in philosophy عام 1920، وأخيرا كتاب الطبيعة البشرية والسلوك الإنساني human nature and conduct عام 1922 .

(54) ديوي، جون، إعادة البناء في الفلسفة،ص 148 .

(55) المصدر السابق، ص 145 .

(56) ديوي، جون، الطبيعة البشرية والسلوك الإنساني، ص 309 .

(57) المصدر السابق، ص 310 .

(58) ديوي، جون، إعادة البناء في الفلسفة، ص 152 .

(59) ديوي، جون، المنطق– نظرية البحث، ص 292، 293 .

(60)ديوي، جون، إعادة البناء في الفلسفة، 152، 153 .

(61) ديوي، جون، الطبيعة البشرية والسلوك الإنساني، ص 229 .

(62) ديوي، جون، الحرية والثقافة، ص 38، 39 .

(63) المصدر السابق، 41، 42 .

(64)ديوي، جون، الفن خبرة، ت : زكريا إبراهيم، دار النهضة العربية، القاهرة، 1963، ص 416 .

(65) إبراهيم، زكريا، فلسفة الفن في الفكر المعاصر، دار مصر للطباعة، القاهرة، د . ت، ص 104 .

(66) ديوي، جون، الفن خبرة، ص 415 .

(67) المصدر السابق، ص 416 .

(68) جراهام، جوردون، فلسفة الفن " مدخل الى علم الجمال "، ت : محمد يونس، ط1، الهيئة العامة لقصور الثقافة، القاهرة، 2013، ص 124 .

(69) المصدر السابق، ص 125 .

(70) ديوي، جون، الفن خبرة، ص 419 .

(71) المصدر السابق، ص 417 .

(72) ديوي، جون، الديمقراطية والتربية، ت : متي عقراوي و زكريا ميخائيل، ط1، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، 1964، ص 353 .

(73) من أبرز الفلاسفة الذين عملوا هذا الفصل هو الفيلسوف الألماني عمانؤيل كانت، بدأ ذلك في كتابه المعروف " نقد ملكة الحكم "، ومن ثم انسحب ذلك على نظريته الجمالية، حيث عمل على فصل للظاهرة الجمالية عن باقي أشكال الخبرة .

(74) ديوي، جون، الفن خبرة، ص 420 .

(75) المصدر السابق، ص 421 .

(76) المصدر السابق، ص 422 .

(77) ديوي، جون، المدرسة والمجتمع، ت : أحمد حسن الرحيم، ط2، دار مكتبة الحياة، بيروت، 1978، ص9.

(78) ديوي، جون، التربية التقليدية والتربية التقدمية، ت : ماجد سرور،ط1، دار نبتة للنشر، الجيزة، 2018، ص 14 .

(79) يرجع هذا الفصل بين الجسم والعقل إلى تقسيم العالم إلى عالمين : العالم السماوي الذي يحتوي على المثل العليا، الخير والحق والجمال، والعالم الأرضي الذي يعيش فيه الإنسان ويمارس حياته ويستخدم به حواسه، والعالم المثالي هو الذي وجدت فيه الروح قبل اتصالها بالجسم في العالم الأرضي، لذلك فهي تعرف الحقائق المطلقة والمثل العليا وتريد أن تتذكر وتسترجع هذه الحقائق، فاستعانت بالعقل لأنه الوسيلة الصحيحة للوصول إلى هذه الأفكار .

(80) ديوي، جون، البحث عن اليقين، ت : أحمد فؤاد الأهواني، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، 1960، ص 282 .

(81) ألخوري، أنطوان، أعلام التربية (حياتهم وأثارهم)، دار الكتاب اللبناني، بيروت، 1964، ص 5 .

(82) ديوي، جون، الديمقراطية والتربية، ص 93 .

(83) ديوي، جون، الديمقراطية والتربية، ص 147، 148 .

(84) النجيحي، محمد لبيب، الأسس الاجتماعية للتربية، ط7، دار النهضة العربية، بيروت، 1978، ص 273.

(85) ديوي، جون، الديمقراطية والتربية، ص 12 .

(86) المصدر السابق، ص 15 .

(87) المصدر السابق، ص 16، 17 .

(88) كان لنظرية داروون المعروفة بالنشوء والارتقاء في كتابه أصل الانواع the origin of species الأثر الكبير على فلسفة جون ديوي، مما جعلها فلسفة تؤمن بالتغير والتطور المستمر في الطبيعة وترفض التصور الثابت والمغلق للطبيعة، وقد ألف كتاب في عام 1910 كان عنوانه أثر دارون في الفلسفة the influence of Darwin on philosophy، حيث كتب من خلاله نتائج فهمه للتطور بالنسبة لفلسفته الاجتماعية وتأثير هذه النظرية على الفلسفة .

(89) ليو شتراوس، جوزيف كروبسي، تاريخ الفلسفة السياسية " من جون لوك حتى هيدجر "، ت : محمود سيد أحمد، ج2، المركز القومي للترجمة، القاهرة، 2018، ص 535،543 .

(90) الطعان، عبد الرضا حسين، وآخرون، مدخل إلى الفكر السياسي الغربي الحديث والمعاصر، ج2، دار السنهوري، بيروت، 2018، ص 82 .

(91) ديوي، جون، الحرية والثقافة، ص 40 .

(92) المصدر السابق، ص 147 .

(93) ديوي، جون، الطبيعة البشرية والسلوك الإنساني، ص 33 .

(94) جعفر، نوري، جون ديوي (حياته ومؤلفاته)، مطبعة الزهراء، بغداد، 1954، ص 68 .

Human nature on contemporary philosophical thought

" John Dewey as a model "

By

L. Nibras Zeki Jalil

College of Arts – Department of Philosophy

2020